

الغربة

لابن قيم الجوزية

قدمها وحققها

عمر بن محمود أبو عمر

دار الكتب الأثرية

الغُربـــــة

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

٣ر٢١٣

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ٦٩١ - ٧٥١ هـ .

الغربة/شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق عمر محمود أبو عمر . - عمان : دار عمار ، ١٩٨٩ .

(٩٨) ص .

ر.أ (١٩٨٩/٨/٤٩٦) .

١ - الحديث - علوم . ٢ - الحديث - تراجم الرواة . ٢ - عمر محمود أبو عمر ، محقق ومعلق .

أ - العنوان .

تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية

دار الكتب الأثرية

للتحقيق والنشر والتوزيع

هاتف (٩٩٣٨٢١) ، ص . ب (٣٥٤١)

الحي التجاري ، الزرقاء، الأردن

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

هاتف ٢-٦٣٧٧٧١ - ص.ب ٨٥٧

عمان - الأردن

لئلا ييأسِ الدُّعاة

الغُرْبَة

لأبي عبـدالله شمس الـدين محمـد بن أبي بكـر الـزرعي

الدمشقي المعروف

بابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١ هـ)

قدَّمَ لها وخرَّج أحاديثها وعلَّق عليها

عمر بن محمود أبو عمر


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشافعيُّ رحمَهُ الله:

«رضى النَّــاسِ غايَــةٌ لا تُدْرَكُ، وليس لي إلى السَّلامَةِ مِن سبيلٍ، فعليكَ بما ينفَعُكَ، فالْزَمْهُ».

«الحلية» (٩ / ١٢٢)، وانظر «علل أحمد برواية المروذي» (فقرة ٥٢٧).

□□□

المقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شرورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهْدِهِ الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل؛ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلَّا وأنْتُم مُسْلِمونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِن نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زَوْجَها وبَثَّ منْهُما رِجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا الله الذي تَساءَلونَ بهِ والأرْحامَ إنَّ الله كانَ عليكُمْ رَقيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً.

يُصْلِحْ لكُم أعمـالَكُم ويَغْفِرْ لكُم ذُنوبكُم ومَنْ يُطِعِ الله ورَسولَهُ فقدْ فازَ فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعدُ:

فإنَّ خيرَ الكـلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهدي هدْيُ رسـولِ اللهِ ﷺ، وشـرَّ الأمـورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

فهٰذه كلماتٌ مِن شيخِ الإسلامِ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ رحمـه الله، تحمل في طيَّاتها خيراً وأملاً لمن تقاعَسَتْ همَّته عن مواصلة الطريق بسبب قلة سالكيه، وغربتهم عن أهلهم وبني جلدتِهم، إذ أهل الحق في كل زمانٍ هُم القلة، وهُم الغـربـاء، وقـد مدح النبيُّ ﷺ غربَتَهُم، وبشَّـرهُم بمـراتبِهِم، ولـولا هٰذه البُشرى؛ ليئستْ هٰذه النفـوس، وما هي إلا أيامٌ قليلةٌ تصبر فيها على خشونةِ الطريقِ، وتحتمل الذل والمرارة مدَّة قصيرة، حتى يبدل الله الخشونة نعيماً مقيماً، والذلَّ عزَّةً وعافيةً، في أرض طيبةٍ؛ رياضها خضرة، وأشجارها مثمرة، وأنهارها عذبة؛ ﴿فيها ما تَشْتَهي الأنفُسُ وتَلَذُّ لهُ الأعْيُنُ﴾.

ورحم الله ابن تيمية حين قال في تعليقه على الحديث الشريف: «إن الله يبعث لهٰذه الأمة في رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينها»؛ يقول:

«وهٰذا الحديث يفيد المسلم أن لا يغتمَّ بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذٰلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام؛ كما كان الأمر حين بدأ، وقال تعالى: ﴿فإنْ كُنْتَ في شَكٍّ ممَّا أنْزَلْنا إليكَ فاسْأَلِ الذينَ يَقرَؤونَ الكِتابَ مِن قبلِكَ﴾».

وهٰذه الكلمات اللطيفة من ابن القيم وجدتها في كتابه الماتع «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، المجلد الثالث، (ص ١٩٤ ـ ٢٠٥).

وكتابه هٰذا شرح رسالة لأبي إسماعيل الهروي اسمها «منازل السائرين»، وقد سلك فيها أبو إسماعيل طريق أهل التصوف بما فيها من دخن وقلق في فهم الحقائق الشرعية، وخاصة فهم التوحيد الخالص.

وسبب قيام الإمام بشرح هٰذه الرسالة أن أبا

إسماعيل كانَ سلفيّ المعتقد في باب إثبات الصفات، وقد لقي بسبب هٰذا محناً شديدة في عصره، وكتابه «منازل السائرين» كان فيه الحجة عند أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود من الصوفيَّة، فحاول ابن القيم أن يحمل هٰذه الألفاظ الموهمة على المعاني الشرعية الصحيحة، ولكن أصابه العجز مرات في هٰذا السبيل. [انظر ترجمة أبي إسماعيل بعد صفحات، وشيئاً من هٰذا].

وقد ترجمت لأبي إسماعيل الهروي الأنصاري، ولابن قيم الجوزية في صدر الرسالة، وألحقت فيها الأحاديث الواردة في الغرباء، وتعريفهم.

أما عملي في الرسالة؛ فكان على النحو التالي:

١ ـ ضبط النص.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة فيها.

٣ ـ وقع في المطبوع من الرسالة بعض الأخطاء فنبهت عليها.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل لها القبول في الأرض، وأن يجعلها في ميزان عملي الصالح يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين.

أبو قتادة

عمان ـ الأردن

□□□

ترجمة

أبي إسماعيل الهروي

هو عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري، شيخ خراسان، من ذريَّة صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري.

مولده:

ولد في شعبان سنة ست وتسعين وثلاث مئة.

قالَ ابن رجب: «وهٰـذا أصـح ممـا ذكـره ابن الجوزي؛ أنه ولد في ذي الحجة سنة خمس وتسعين».

شيوخه:

سمع من يحيى بن عمَّار السِّجْزي، وعبدالجبار بن محمد الجرَّاحي؛ سمع منه «جامع» أبي عيسى كُلُّه

أو أكثره، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي، ويروي عن أبي بكرٍ البيهقي بالإجازة، وغيرهم عدَّة.

مصنفاته:

منها:

«ذم الكلام وأهله».

«الفاروق في الصفات».

«مناقب الإمام أحمد».

«علل المقامات».

«تفسير القرآن»؛ بالفارسية.

«مجالس التذكير»؛ بالفارسية.

«الأربعون في دلائل التوحيد».

«منازل السائرين».

مذهبه:

كانَ الهرويُّ في الأصول على مذهب أهل السنة والجماعة ومَن سلكَ منهجَهُم، وقد امْتُحِنَ بسبب ذٰلك

مرَّات.

قالَ ابن طاهـر: «سمعتُ الإمـام أبـا إسمـاعيل الأنصـــاري بهـراة يقـولُ: عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يُقال لي: اسكت عمَّن خالفك، فأقول: لا أسكت».

وكانَ سيفاً على أهل الكلام، وله كلام في ذمِّه، وبسبب هٰذا أوذِيَ ونُفي مِن بلده.

قال المؤتَمَن: «سمعتُه يقول: تركتُ الحيريَّ لله».
قالَ: «وإنما تركه لأنه سمع منه شيئاً يخالف السنة».

قال الـــذهبي: «كـــان يدري الكـلام على رأي الأشعـري، وكـان شيخ الإسـلام أثـريًّا قُحًّـا، ينال من المتكلمة، فلهٰذا أعرض عن الحيريِّ، والحيريُّ؛ فثقةٌ عالمٌ».

وقد أورد ابن رجب في ترجمته قصصاً كثيرة مما جرى له بسبب مخالفيه في عقيدته التي هي عقيدة السلف.

قال: «وذكر الرهاوي أن الحسين بن محمد الكتبي ذكر في «تأريخه» أن مسعود بن سُبُكْتِكِين قدم هراة سنة ثلاثين وأربع مئة، فاستحضر شيخ الإسلام، وقال له: أتقول: إن الله عز وجل يضع قدمه في النار؟! فقال: أطال الله بقاء السلطان المعظم، إن الله لا يتضرر بالنار، والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه، وعلماء هٰذه الأمة لا يتزيَّدون فيما يروون عنه ويسنِدون إليه، فاستحسن جوابه، وردَّه مكرماً».

مذهبه في الفروع:

كانَ حنبليَّ المذهب، وكانَ يقول: «مذهبُ أحمدَ أحْمَدُ مذهَبٍ».

ويقول:

«أنا حَنْبَلِيٌّ ما حَيِيتُ وإنْ أمُتْ
فوَصِيَّتي للنَّاسِ أنْ يَتَحَنْبَلوا»

صفاته وأخلاقه:

قال عبدالغافر بن إسماعيل: «كان الهروي على

حظٌّ تامٌّ من معرفة العربية، والحديث، والتواريخ، والأنساب، إماماً كاملاً في التفسير».

قال المؤتمن: «كان يدخل على الأمراء والجبابرة، فما يبالي بهم، ويرى الغريب من المحدثين، فيبالغ في إكرامه، قال لي مرة: هٰذا الشأن شأن من ليس له شأن سوى هٰذا الشأن ـ يعني طلب الحديث ـ».

قال ابن طاهر: «سمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول: حضرتُ مع الشيخ للسلام على الوزير نظام الملك، وكان أصحابنا كلَّفوه الخروج إليه، وذٰلك بعد المحنة، ورجوعه إلى وطنه من بلْخ ـ يعني أنَّه كان قد غُرِّبَ ـ قالَ: فلما دخل عليه؛ أكرمه، وبجَّلَهُ، وكان هناك أئمة من الفريقين، فاتَّفقوا على أن يسألوه بين يدي الوزير، فقال العلوي الدبوسي: يأذن الشيخ الإمام أن أسأل؟ قال: سل. قال: لِمَ تلعَنُ أبا الحسنِ الأشعريَّ؟ فسكت الشيخُ، وأطرق الوزيرُ، فلما كانَ بعد ساعةٍ؛ قال الوزيرُ: أجِبْهُ. فقالَ: لا أعرفُ أبا الحسن، وإنما ألعنُ مَن لم يعتَقِدْ أنَّ الله في السماءِ، وأنَّ القرآنَ في

المصحفِ، ويقـول: إنَّ النبيَّ ﷺ ليس بنبي. ثم قامَ وانصـرف، فلم يُمَكِّنْ أحداً أن يتكلَّم من هيبته، فقال الوزير للسائل: هٰذا أردتم! أن نسمع ما كان يذكره بهراة بآذاننـا، ومـا عسى أن أفعـل به، ثم بعث إليه بصلة وخِلَعٍ، فلم يَقْبَلْها، وسافر من فوره إلى هراة».

قال أبو سعد السمعانيُّ: «كان أبو إسماعيل مظهراً للسنة، داعياً إليها، محرضاً عليها».

ما أُخِذَ عليه:

وقع الهروي فيما وقع فيه بعض الفضلاء، فكان هناك مأخذ عليه، تُكُلِّمَ فيه بسببه، وهٰذا المأخذ لم يكن عليه خيار السلف الصالح، ألا وهو الصوفيَّة.

والصوفية قائمة في أصلها على مذهب الإشراق، وهـو البحث عن المعرفة عن طريق الكشف والجذبة، ومآلها إلى الاعتقاد بوحدة الوجود.

وأنت لا ترى فاضلاً تلبَّس بمثل هٰذا اللباس إلا كان سبباً في الطعن والكلام عليه.

وكتاب أبي إسماعيل «منازل السائرين» فيه كلمات مشكلة، كانت سبباً عند أقوام أنهم حملوها على ظاهرها ـ وهو الأولى ـ فانتحلوها، وفيها الاعتقاد بالوحدة.

قال الذهبي: «قد انتفع به خلق، وجهل آخرون، فإنَّ طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في «منازل السائرين»، وينتحلونه، ويزعمون أنه موافقهم».

وقال: «وفي «منازله» إشارات إلى المحو والفناء. . . ويا ليته لا صنف ذٰلك».

وقال: «وله نَفَسٌ عجيب لا يشبهُ نَفَسَ أئمة السلف في كتابه «منازل السائرين»، ففيه أشياء مُطربة، وفيه أشياء مشكلة، ومن تأمَّله؛ لاح له ما أشرت إليه، والسنة المحمدية صَلِفةٌ، ولا ينهض الذوق والوجه إلا على تأسيس الكتاب والسنة».

هٰذه الأشياء المشكلة هي التي دعت شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله أن يشرح «منازله»، ويجاهد

نفسه في توجيهها؛ لتوافق الحديث والأثر، وقد أتعب نفسه في حلها، وكثيراً ما وقف عاجزاً أمام بعض العبارات الصريحة في انحرافها أن يمسح عنها ما حملت من التصريح والوضوح في معانيها.

انظر إليه حين يقول: «فإن هٰذا الكلام الذي اشتملت عليه هٰذه الأبيات لا يستقيم على مذهب الملحدين، ولا على مذهب الموحدين» «مدارج» (٣ / ٥١٩).

ويقول: «وهٰذا موضع غير مسلم له على إطلاقه» (٣ / ٤٣٤).

وقوله: «وأما دعوى وقوع نوعٍ من العلم بغير سبب من الاستدلالِ؛ فليس بصحيح» (٣ / ٤٣٢).

ويقول رادًّا عليه في إحدى المراتب: «ولعمر الله إن ذٰلك ليس بكمال، وهو أصل من أصول الانحلال» (٣ / ٤٢٠).

ويقول معلقاً على إحدى جمله: «هٰذا كلام فيه

قلق وتعقيد، وهو باللغز أشبه منه بالبيان» (٣ / ٤١٧).

وانظر (٣ / ٤٠٧ ـ وما بعدها).

ويقول رحمه الله على إحدى مراتبه ومنازله: «هٰذا أيضاً من النمط الأول، مما ينكر لفظه وإطلاقه غاية الإنكار، ويجب على أهل الإيمان محو هٰذا اللفظ القبيح».

وأصرح عباراته في ذٰلك قوله رحمه الله: «ولعمر الله؛ لقد كان في غُنية عن هٰذا الباب، وعن هٰذه التسمية، ولقد أفسد الكتاب بذٰلك» (٣ / ٤٠٠).

ورحم الله ابن القيم حين يقول: «شيخ الإسلام حبيبنا، ولكن الحق أحب إلينا منه، وكان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله يقول: عمله خير من علمه. وصدق رحمه الله، فسيرته بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد أهل البدع، لا يشق له فيها غبار، وله المقامات المشهورة في نصرة الله ورسوله، وأبى الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، صلى الله عليه وسلم، فقد أخطأ في هٰذا الباب

لفظاً ومعنى» (٣ / ٣٩٤).

وله كذٰلك: «وقد خبط صاحب «المنازل» في هٰذا الموضع، وجاء بما يرغب عنه الكمل من سادات السالكين والواصلين إلى الله» (١ / ١٤٧).

ويقول: «ولكنه رحمه الله كانت طريقته في السلوك مضادة لطريقته في الأسماء والصفات. . . فتضمن ذٰلك تعطيلاً من العبودية بادياً على صفحات كلامه» (١ / ٢٦٤).

ومجمل ما في «المنازل» فصَّل القول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين يقول: «وصاحب «منازل السائرين» يذكر في كل باب ثلاث درجات، فالأولى - وهي أهونها عندهم - توافق الشرع الظاهر، والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق، والثالث في الأغلب تخالف، لا سيما في التوحيد، والفناء، والرجاء، ونحو ذٰلك» «مجموع الفتاوى» (١٣ / ٢٢٩).

ومثال صاحب «المنازل» في هٰذا التقسيم كلام أبي العباس بن العريف في كتابه «علل المقامات»، وقد

فصَّل ابن القيم رحمه الله الرد عليه في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، انظره بتحقيقي، نشر دار ابن القيم - الدمام.

وبهذا يُعلم أن الصوفية هي مقبرة للفضلاء والصالحين حيث ولجوا فيها، فإنها تضطرُّهم إلى ما يقدح بهم، وصدق الإمام الشافعي رحمه الله حين قال: «التصوف مبنيٌّ على الكسل، ولو تصوَّفَ رجلٌ أوَّلَ النهار؛ لم يأتِ الظهرُ إلا وهو أحمق».

انظر: «صفة الصفوة» (١ / ٢٥)، وأصله في «الحلية».

وخطورة التصوف تكمن في أنه صار يمثل في وقت من الأوقات واجهة الإسلام، مع أنه دين دخيل على أمَّتنا، ولا يمتُّ إلى الإسلام بصلة.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وقد جاوز أربعاً وثمانين.

مصادر ترجمته :

١ ـ «طبقات الحنابلة» (٢ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

٢ ـ «المنتظم» (٩ / ٤٤ ـ ٤٥).

٣ ـ «العبر» (٣ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

٤ ـ «تذكرة الحفاظ» (٣ / ١١٨٣ ـ ١١٩١).

٥ ـ «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ٥٠٣ ـ ٥١٩).

٦ ـ «مدارج السالكين».

٧ ـ «ذيل طبقات الحنابلة» (١ / ٥٠ ـ ٦٨).

٨ ـ «شذرات الذهب» (٣ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

□□□

ترجمة

شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية

هو الإمام الحافظ الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية؛ نسبة إلى المدرسة التي أنشأها يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، حيث كان أبوه قيِّماً عليها، واشْتُهِرَ باسم «قيِّم الجوزيَّة»، وعرفت ذريته بعد ذلك باسم «ابن قيم الجوزية».

مولده:

ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة في قرية زرع، وهي قرية من نواحي حوران، ثم تحوَّل إلى دمشق، وتتلمذ لطائفة من علمائها، وكانَ رحمه الله كثير البحث

والطلب، متفانياً في سبيل تحقيق العلوم والمعارف، وهو قد بدأ الطلب مبكراً.

شيوخه:

١ ـ بدأ الطلب على يد أبيه، فتعلم منه الفرائض، وكان مبرزاً فيها، وله فيها يد طولى.

٢ ـ أبو بكر بن عبدالدائم، حيث سمع منه الحديث، وكان من مشايخه.

٣ ـ الشهاب النابلسي، وقد سمع منه الحديث في سن مبكر.

٤ ـ تقي الدين بن سليمان (القاضي).

٥ ـ وكان قد أخذ العربية عن أبي الفتح البعلي، فقرأ عليه «الملخص» لأبي البقاء، ثم قرأ «الجرجانية»، ثم «ألفية» ابن مالك، وأكثر «الكافية الشافية»، وبعض «التسهيل».

٦ ـ وتلقى الأصول والفقه على الشيخ محمد صفي الدين بن عبدالرحيم المعروف بالصفي الهندي.

٧ ـ وأخذ كذلك عن الشيخ إسماعيل بن محمد الحراني شيخ الحنابلة بدمشق، حيث أخذ عنه الفرائض بعد والده، وقيل: إنه قرأ عليه «المقنع» مئة مرة، وقرأ عليه «مختصر» أبي القاسم الخرقي.

٨ ـ وقد لازم الإمامُ شيخَه شيخَ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، وأكثر الأخذ عنه، والملازمة له، وأخذ عنه التفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، وبه رجع إلى عقيدة السلف.

وكان تاريخ اللقاء بينهما سنة (٧١٢ هـ)، وهي السنة التي عاد فيها شيخ الإسلام ابن تيميَّة من مصر إلى دمشق، واستقرَّ بها إلى مات رحمه الله سنة (٧٢٨ هـ).

صفاته وأخلاقه:

كان رحمه الله صاحب تألُّه، وعبادة، وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وشغف، ومحبة، وإنابة، واستغفار، وافتقار إلى الله، وانكسار له، حتى قال عنه ابن كثير: «لا أعرف في هٰذا العالم في زماننا أكثر

عبادةً منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدًا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع، ولا ينزع عن ذٰلك رحمه الله».

وأما في العلوم؛ فقد بلغ المراتب العالية الرفيعة، وقد وصفه ابن رجب رحمه الله تعالى بقوله: «تفقه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عالماً في «التفسير» لا يُجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذٰلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام، والنحو، وغير ذٰلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فن من هٰذه الفنون اليد الطولى».

أما أعظم خصائصه ومناقبه فهي أنه وقف نفسه مدافعاً وداعياً للعودة إلى الموارد الأولى، وإلى تنقية هٰذا الدين مما علق به من شوائب علم الكلام وفلسفته، ومن

شطحات الصوفية، وهذياناتهم، فكان في هٰذا الإمامَ الـذي ترسم طريق شيخه ابن تيميَّة، ومن أجل هٰذا عُودِيَ، ولقي العنت والشدة والعذاب ممَّن رأوا في دعوته ودعوة شيخه هدماً لما بنَوا من صروح الباطل، والبدع، وقد سُجِنَ بسبب ذٰلك، وبسبب بعض اختياراته الفقهية.

مؤلفاته:

للإمام المؤلفات الكثيرة النافعة، منها:

١ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين».

٢ ـ «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية».

٣ ـ «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان».

٤ ـ «الفروسية».

٥ ـ «تحفة المودود في أحكام المولود».

٦ ـ «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته».

٧ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد».

٨ ـ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

وفاته:

توفي رحمــه الله وقت العشـاء ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب سنة (٧٥١ هـ)، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق الكبير، ثم بجامع الجراح، قرب المقبرة التي دفن فيها بالباب الصغير.

مراجع ترجمته:

١ ـ «ذيل طبقات الحنابلة» (٢ / ٤٤٧ ـ ٤٥٢).

٢ ـ «الوافي بالوفيات» (٢ / ٢٧٠ ـ ٢٧٢).

٣ ـ «شذرات الذهب» (٦ / ١٦٨).

٤ ـ «البداية والنهاية» (١٤ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

٥ ـ «الدرر الكامنة» (٤ / ٢١ ـ ٢٣).

٦ ـ «البدر الطالع» (٢ / ١٤٣ ـ ١٤٦).

□□□

تخريج حديث

«طُوبى للغُرباء»

هٰذا حديث صحيح ورد من طرق صحيحة عديدة، وعن جماعة من الصحابة.

وهٰذه روايات الصحابة ممَّا لم يذكر فيها تعريف الغرباء، وممن رواه:

١ ـ أبو هريرة رضي الله عنه.

قال مسلم بن الحجاج في «صحيحه» (١ / ١٣٠): حدثنا محمد بن عبَّاد وابن أبي عمر جميعاً عن مروان الفزاري؛ قال ابن عبَّاد: حدثنا مروان عن يزيد ـ يعني: ابن كيسان ـ عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء».

ورواه أبو عوانة في «مسنده» (١ / ١٠١ ـ ١٠٢)، وابن ماجه (ح ٣٩٨٦)، وابن منده في الإيمان (ح ٤٢٣)، والخطيب في «تاريخه» (١١ / ٣٠٧)، وفي «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣)، والآجُري في «الغرباء» (ح ٤)، والبيهقي في «الزهد» (ص ٢٠٣)؛ كلهم من طرق عن مروان الفزاري عنه به.

ورواه أحمد (٢ / ٣٨٩)، وابن منده في «الإيمان» (٤٢٢٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح ١٠٥١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٢٩٨) من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

وسنده صحيح.

ورواه بحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٣٢).

وفي سنده علي بن عاصم الواسطي، وقد تُكُلِّم فيه، وفي السند تصحيف شديد، وفيه زيادة: «المتمسك

يومئذٍ بسنَّتي كالقابض على الجمر».

٢ ـ عبدالله بنُ مسعود:

من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

رواه الترمذي (ح ٢٦٢٩)، وقال: حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود. والطبراني في «الكبير» (١٠ / ١٢٢).

ومن طريقه فيه زيادة في تعريف الغرباء ستأتي.

٣ ـ أنس بن مالك:

من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

رواه ابن ماجه (ح ٣٩٨٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢ / ٥٥١)، والطحاوي في «المشكل» (١ / ٢٩٨)، وإسناده حسن.

ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢ / ٢٥٧)

من طريق حكّامة بنت عثمان بن دينار؛ قالت: حدثني أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس، وذكره.

وعثمان بن دينار ضعيف.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥ / ١٨٢٣) من طريق عثمان بن عبدالله: حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن قيس عن أنس رضي الله عنه، وذكره.

وسنده ضعيف جداً، فعثمان هٰذا متهم بالوضع.

٤ ـ ابن عمر:

من طريق جرير عن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وفيه كلام.

رواه البزار «كشف الأستار» (٤ / ٩٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح ١٠٥٤).

تنبيه:

وقع في المطبوع من «مسند الشهاب»: «جرير

وليث؛ (متابعة لا رواية)»، وهو خطأ، والصحيح: «جرير عن ليث».

ورواه مسلم (١٤٦)، وابن منده في «الإيمان» (ح ٤٢١)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٣) من طريق آخر عن ابن عمر؛ دون قوله: «فطوبى للغرباء».

٥ ـ سعد بن أبي وقاص:

من طريق ابن وهب: ثنا أبو صخر عن أبي حازم عن عامر بن سعد عن أبيه.

رواه البزار «كشف الأستار» (٤ / ٩٨).

وهو عند أحمد وأبي يعلى وابن منده بزيادة: «إذا صلح الناس»، وستأتي.

٦ ـ سلمان الفارسي:

رواه الطبراني في «الكبير» (٦ / ٢٥٦)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١ / ٣٩٢) من حديث سلمان الفارسي، وفيه عبيس بن ميمون، وهو متروك. «المجمع» (٧ / ٢٨١).

٧ ـ أبو سعيد الخدري:

رواه الطبراني في «الأوسط» (مجمع البحرين ـ ٤ / ٤١٠).

قال الهيثمي: «وفيه عطية (العوفي)، وهو ضعيف».

□□□

تخريج وبيان

مَن هُم الغرباءُ؟

* «الذين يُصْلِحونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ»:

رواه جمع من الصحابة؛ منهم:

١ ـ عبدالرحمن بن سنة.

عبدالله بن أحمد في «الزوائد على المسند» (٤ / ٧٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣ / ٣٥٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤ / ١٦١٥)، والخطابي في «غرِيب الحديث» (١ / ١٧٦)، وابن وضَّاح في «البدع» (ص ٦٥ ـ ٦٦)، والطبراني في «الكبير»؛ كلهم من طريق إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن يوسف بن سليم عن جدته ميمونة عنه به.

وإسناده ضعيف جداً؛ إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة متروك.

٢ ـ أبو هريرة:

قال أبو حاتم في «العلل» (٢ / ١٥٨): عن عمر بن شيبة بن أبي كثير مولى أشجع وثور بن يزيد وخاله موسى بن ميسرة الديليين وغيرهم عن نعيم المجمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعوا الحديث، وذكره.

قالَ: وهٰذا حديث موضوع.

ورواه الخطيب في «الموضح» (١ / ١٤١ ـ ١٤٢).

وأخرجه اللالكائي (ح ١٧٤)، وابن عدي في «الكامل» (٢ / ٤٦٢) من طريق بكر الصواف عن أبي حازم عنه به.

٣ ـ سهل بن سعد:

رواه الطبراني في «الكبير» (٦ / ٢٠٢)، وفي

«الأوسط» (مجمع البحرين ـ ٣ / ٤١٠)، وفي «الصغير» (١ / ١٠٤)، والدولابي في «الأسماء والكنى» (١ / ١٩٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢ / ٤٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح ١٠٥٥)؛ كلهم من طريق بكر الصواف عن أبي حازم عنه به.

وإسناده حسن.

٤ ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب:

رواه ابن وضّاح في «البدع» (ص ٦٥) من طريق يحيى المتوكل.

ويحيى ضعيف.

وأخرجه من حديثه أبو يعلى؛ كما في «المطالب العالية» (ح ٣١١٢).

قال البوصيري: «فيه الكوثر بن حكيم، وهو ضعيف».

٥ ـ عبدالرحمن بن عوف:

أخرجه الديلمي في «الفردوس» (ح ٢١٨٥).

٦ ـ جابر بن عبدالله:

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (مجمع البحرين ـ ٤ / ٤١٠)، والطحاوي في «المشكل» (١ / ٢٩٨)، وأخرجه اللالكائي (ح ١٧٢).

وفي سنده عبدالله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف، وأبو عياش، وهو مجهول.

٧ ـ أبو الدرداء، وأبو أمامة، وواثلة بن الأسقع الليثي، وأنس بن مالك:

رواه الخطيب في «تاريخه» (١٢ / ٤٨١)، وابن عساكر (٣٩ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٢٢٦)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠١)، والطبراني في «الكبير».

وفيه: «ولا يُماروا في دين الله، ولا يكفِّرون أهل القبلة بذنب».

وسنده موضوع.

فيه كثير بن مروان، وهو كذاب، وعبدالله بن يزيد

الدمشقي، وهو ضعيف، منكر الحديث.

٨ ـ عبدالله بن مسعود:

أخرج حديثه الآجري في «الغرباء» (ح ١)، وأبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتن» (ق ٢٥ / ١)؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (ح ١٢٧٣).

٩ ـ سعد بن أبي وقاص:

أخرجه أبو يعلى (ح ٧٥٦)، وأحمد (١ / ١٨٤)، وابن منده في «الإيمان» (ح ٤٢٤)، والدورقي في «مسند سعد» (ح ٩٢)، والبزار في «مسنده» (ل ١٩٠).

وإسناده صحيح.

ورواه هناد في «الزهد» (١٢٤٥) مرسلاً من طريق قبيصة عن سفيان عن يحيى بن سعيد رفعه.

وسنده ضعيف؛ في رواية قبيصة عن الثوري مقال، وهو مرسل.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣ / ٢٣٧) من طريق يحيى بن سعيد عن إبراهيم بن المغيرة.

وإبراهيم مجهول؛ «الجرح والتعديل» (١ / ١ / ١٣٦).

* **«نـــاس صالحـون قليـل في ناس سوء كثيـر من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»**.

قال ابن المبارك: أخبرنا ابن لهيعة قال: حدثني الحـارث بن يزيد عن جنـدب بن عبدالله العَدْواني أنه سمع سفيان بن عوف القاري يقول: سمعت عبدالله بن عمـرو بن العـاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده:

«طوبى للغُرباء».

قيل: ومَنِ الغرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: **«ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممَّن يطيعهم»**.

ورواه عبـدالله في «زوائـد المسند» (ح ٢٠٧٢ و ٦٦٥٠)، وابن وضَّـاح في «البـدع والنهي عنهـا» (ص ٦٤)، والـديلمي (ح ٣٩٣٧)، والفسوي في «المعرفة

والتأريخ» (٢ / ٥١٧)، والطبراني في «الأوسط» (مجمع البحرين ـ ٤ / ٤١٠ ـ ٤١١)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧ / ٢٧٨)، والآجُري في «الشريعة» (ح ٢)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٥)؛ كلهم من طريق ابن لهيعة عنه به.

وفي إسناده جندب بن عبدالله؛ لم يوثقه سوى العجلي.

وسفيان بن عوف القاري؛ وثقه ابن حبان والعجلي.

وابن لهيعة؛ ولكن من رواية ابن المبارك عنه.

ورواه ابن عساكر (١٢ / ٨ / ١)؛ كما في «السلسلة الصحيحة» (ح ١٦١٩) من طريق ابن المبارك قال: حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عبدالرحمن المعافري عن سفيان بن عبدالله الثقفي عن عبدالله بن عمرو به.

قال الألباني: «إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات».

* «النُّزَّاعُ مِن القبائل»:

قال عبدالله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند»: حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة: حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغُرباءِ».

قيلَ: ومَن الغرباءُ؟

قالَ: «النُّزَّاع من القبائل».

«المسند» (ح ٣٧٨٤ ـ نسخة أحمد شاكر).

ورواه الدارمي (٢ / ٣١١ ـ ٣١٢)، وابن ماجه (ح ٣٩٨٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (ح ٤٩٧٥)، والدورقي في «مسند سعد» (ح ٩٣)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١ / ١٣٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٦٥)، والخطابي في «غريب

الحديث» (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (ح ٦٤) وقال: صحيح غريب، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣ / ١١٣٠)، والآجري في «الغرباء» (ص ١٧)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٨)؛ كلهم من طريق حفص بن غياث عن أبي إسحاق عنه به.

وأبو إسحاق مدلس، وقد عنعن فيها جميعاً.

*** «الذينَ يُمْسِكونَ بكتابِ اللهِ»:**

قال ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٦٥): حدثنا محمد بن سعيد قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا ابن وهب عن عقبة بن نافع عن بكر بن عمرو المعافري قال:

قال رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء، الذين يمسكون بكتاب الله حين يُترك، ويعلمون! بالسنة حين تطفأ».

وسنده ضعيف جدًّا.

١ ـ بكر بن عمرو المعافري؛ لا يُعلم له رواية عن الصحابة، فحديثه عن رسول الله ﷺ معضل.

٢ ـ عقبة بن نافع (الذي يروي عنه ابن وهب)؛ ذكره البخاري في «تاريخه» (٣ / ٢ / ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (٣ / ٣١٧) في «جرحه»، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

٣ ـ نعيم بن حماد؛ مع إمامته، في حفظه شيء، وقد تُكُلِّم فيه.

*** «الذينَ يُصْلِحونَ ما أفسد الناسُ مِن بعدي من سنَّتي»:**

قال الترمذي في «سننه» (ح ٢٦٣٠): حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس: حدثني كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة عن أبيه عن جَدِّه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«إنَّ الدينَ بدأَ غريباً، ويرجِعُ غريباً، فطوبى للغُرباءِ؛ **الذينَ يُصْلِحونَ ما أفْسَدَ النَّاسُ مِن بعدي من سنَّتي**».

وقال: حسن صحيح.

ورواه البغوي (١ / ١٢١)، والخطيب في «الجامع بين أخلاق الراوي وآداب السامع» (١ / ١١٢ / ح ٨٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح ١٠٥٢ و ١٠٥٣)، وفيه: «**الذين يحيون سنَّتي، ويعلمونها النَّاس** (عباد الله)»، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢ / ١٠)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٧)، وابن عبدالبر في «الجامع» (٢ / ١٢٠)، والقاضي عياض في «الإلماع» (ص ١٨ ـ ١٩)، كلهم من طريق كثير عنه به.

وسنده ضعيف؛ فيه كثير بن عبدالله بن عمرو المزني؛ ضعيف.

*** «الفرَّارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى عليه السلام يوم القيامة:**

قال عبدالله في «زوائد الزهد» (ص ١٤٩):

حدثنا سنيان بن وكيع عن عبدالله بن رجاء عن ابن

جريج عن ابن أبي مليكة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ شيءٍ إلى اللهِ الغُرَباءُ».

قيل: ومَن الغرباء؟

قالَ: **«الفرَّارونَ بدينِهم يبعثهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع عيسى بن مريم عليه السلام».**

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١ / ٢٥)، والبيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٦).

وإسناده ضعيف؛ فيه سفيان بن وكيع:

قال ابن حجر: «كان صدوقاً، إلا أنه ابتُلِي بورَّاقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح، فلم يقبل، فسقط حديثه».

وابن جريج مدلس، وقد عنعنه.

وقد رُوي موقوفاً من كلام ابن عمرو.

رواه أحمـد في «الـزهـد» (ص ٧٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ح ١٥١٣)، والآجري في «الغرباء» (٣٧)، والدورقي في «مسند سعد» (ح ٩٤)، وذكره البخاري في «التـاريـخ الكبير» (٢ / ٢ / ١٣١)؛ من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن عثمان بن عبدالله بن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبدالله به.

وإسناده ضعيف، فيه محمد بن مسلم:

قال ابن حجر: «صدوق يخطىء».

وعثمان بن عبدالله؛ مقبول إذا توبِع، وإلا فليِّن.

ومن هٰذه الـطريق ذكـر ابن القيم في «المدارج» رفعها من حديث أحمد رحمه الله.

ولكن الـذي ورد في المطبوع من «الزهد» من هٰذه الطريق وقفها لا رفعها؛ كما ترى.

وقـد وردت من هٰذه الطـريق مرفـوعـة عند ابن أبي الـدنيـا في «التـواضـع» (ح ١٦)، ومع ما تقدم فيها، فإن سليم بن هرمز لم يوثقه سوى ابن حبان.

* «**الذينَ يَزيدونَ إذا نَقَصَ النَّاسُ**»:

قال أحمد: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن زهير عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن حنطب عن المطلب بن حنطب عن النبي ﷺ قال:

«طوبى للغُرباءِ».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! ومَنِ الغرباءُ؟

قال: «**الذينَ يَزيدون إذا نقص الناس**» «مدارج السالكين» (٣ / ١٩٤).

وإسناده ضعيف.

فالمطلب بن حنطب؛ روايته عن رسول الله ﷺ مرسلة، وعمرٌو مولاهُ؛ تُكُلِّم فيه من جهة حفظه.

* «**كيف يكونُ غريباً**»؟

قال الحسنُ البصري: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً، فطوبى للغُرباءِ».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! كيفَ يكونُ غريباً؟

قال: «كما يقال للرجل في حي كذا وكذا: إنه لغريب».

ابن وضاح في «البدع» (ص ٦٦).

وسنده ضعيف؛ فالحسن البصري تابعي صغير، وفيه المبارك بن فضالة؛ يدلس ويسوّي ويعنعن.

*** «ألا لا غُربةَ على مؤمن»:**

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٥ / ٧٥): حدثني يحيى بن طلحة: حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، **ألا لا غُربة على مؤمن**، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿فما بكَتْ عليهِمُ السَّماءُ والأرْضُ﴾». ثم قالَ: «إنهما لا يبكيانِ على كافر».

وأخرجه ابن أبي الدنيا؛ كما في «الدر المنثور» (٧ / ٤١٢).

وسنده ضعيف؛ فهو مرسل.

ويحيى بن طلحة؛ قال النسائي: «ليس بشيء»، وكذبه علي بن الحسين بن الجنيد، وخطأه الصغاني.

ورواه البيهقي في «الزهد» (ح ٢٠٢) من طريق يحيى بن المتوكل من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ويحيى ضعيف.

□□□

رسالة الغربة

قالَ شيخُ الإسلامِ[1]:

«(بابُ الغُربةِ):

قالَ الله تعالى: ﴿فَلَوْلا كانَ مِن القُرونِ مِن قَبْلِكُم أُولـو بَقِيَّةٍ يَنْهَـوْنَ عنِ الفَسادِ في الأرضِ إلَّا قليلاً مِمَّنْ أنْجَيْنا منهُم﴾[2]».

[قالَ ابن القيم رحمه الله]: استشهادُهُ بهٰذه الآيةِ في هٰذا البابِ يدُلُّ على رُسوخِهِ في العِلْمِ، والمَعْرِفَةِ، وفَهْمِ القـرآنِ[3]، فإنَّ الغرباءَ في العالَمِ هُم أهْلُ هٰذهِ

(١) هو أبو إسماعيل الهروي، انظر ترجمته في المقدمة.

(٢) هود: ١١٦.

(٣) الـراسخ في العلم هو الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً، وأبو إسمـاعيل الهـروي؛ ليس هنـاك ما يدل على ثباته في أمر من أمور=

الصِّفَةِ المذكورةِ في الآيةِ .

وهُمُ الـذينَ أشارَ إليهمُ النبيُّ ﷺ في قولهِ: «بدَأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غَريباً كَما بَدَأَ، فطوبى للغُرباءِ».

قيلَ: ومَنِ الغُرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «الذينَ يُصْلِحونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ»[1].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عبدُالرحمٰنِ بنُ مهديٍّ عن زهيرٍ عن عمـرو بن أبي عمرٍو ـ مولى المطلب بن حَنْطَب ـ عن المطَّلبِ بنِ حنطبٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ:

«طوبى للغُرباءِ».

قالوا: يا رسولَ اللهِ! ومَنِ الغرباءُ؟

قالَ: «الذينَ يَزيدونَ إذا نَقَصَ النَّاسُ»[2].

= العلم إلا في مسألة الأسماء والصفات، إذ هو كما وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية: «عمله خير من علمه».

(١) حديث صحيح، وقد حاولنا استقصاء طرقه في المقدمة، فانظرها.

(٢) سنده ضعيف، انظر المقدمة.

فإن كان هٰذا الحـديث بهٰذا اللفظ محفوظاً، لم ينقلب على الراوي لفظه ـ وهو: «الذينَ يَنْقُصونَ إذا زادَ النَّاسُ» ـ؛ فمعناهُ: الذينَ يزيدونَ خيراً وإيماناً وتُقًى إذا نَقَصَ النَّاسُ من ذٰلك. والله أعلم.

وفي حديث الأعمش عن أبي إسحـاق عن أبي الأحْوَصِ عن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ [اللهِ][1] ﷺ:

«إنَّ الإِسـلامَ بدَأَ غريباً، وسيعودُ غَريباً كما بَدَأَ، فطوبى للغُرَباءِ».

قيلَ: ومَنِ الغُرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «النُّزَّاعُ مِن القبائِلِ»[2].

وفي حديث عبدالله بن عمرو قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ ونحنُ عندَهُ:

«طوبى للغُرباءِ».

---

(١) ساقطة من المطبوع.

(٢) تقدم ذكر مظانّه وتخريجه، انظر المقدِّمة.

قيلَ: ومَنِ الغُرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «نـاسٌ صالِحـونَ قليلٌ في ناسٍ كثيرٍ، مَن يَعصيهِمْ أكْثَرُ ممَّنْ يُطيعُهم»[1].

وقـالَ أحمـد: حدثنـا الهيثمُ بنُ جميلٍ: حدَّثنا محمدُ بنُ مسلمٍ: حدَّثنا عثمانُ بنُ عبدِاللهِ عن سليمانَ بنِ هرمزٍ عن عبدِاللهِ بنِ عمرو عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:

«إنَّ أحبَّ شيءٍ إلى اللهِ الغُرباءُ».

قيلَ: ومَنِ الغرباءُ؟

قالَ: «الفرَّارونَ بدينِهم، يَجْتَمعونَ إلى عيسى بنِ مريمٍ عليهِ السلامُ يومَ القيامَةِ»[2].

وفي حديثٍ آخر:

«بـدأَ الإِسـلامُ غريبـاً، وسيعـودُ غريباً كما بَدَأَ، فطُوبى للغُرباءِ».

قيلَ: ومنِ الغرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

---

(١) تقدم ذكر مظانِّه وتخريجه، انظر المقدِّمة.

(٢) تقدم ذكر مظانِّه وتخريجه، انظر المقدِّمة.

قالَ: «الذينَ يُحْيونَ سُنَّتي، ويُعَلِّمونَها النَّاسَ»[1].

وقـالَ نافع بن[2] مالك: دخَلَ عمرُ بنُ الخطابِ المسجدَ، فوجَدَ معاذَ بنَ جبلٍ جالساً إلى بيتِ النبيِّ ﷺ وهُو يَبْكي:

فقالَ لهُ عُمرُ: ما يُبْكيكَ يا أبا عبدِالرَّحْمٰنِ؟ هَلَكَ أخوكَ؟

قالَ: لا. ولكنْ حديثاً حَدَّثنيهِ حبيبي ﷺ وأنا في هٰذا المسْجِدِ.

فقالَ: ما هُو؟

قالَ: «إنَّ الله يُحِـبُّ الأخْـفِـياءَ الأحْفِياءَ الأتْقياءَ الأبرياءَ، الذينَ إذا غابوا؛ لم يُفْتَقَدوا، وإذا حَضَروا؛ لم يُعْـرَفوا، قلوبُهُم مصابيحُ الهُدى، يخرُجونَ مِن كُلِّ فتنَةٍ عمياءَ مظلمةٍ»[3].

---

(١) تقدم ذكر مظانّه وتخريجه، انظر المقدِّمة.

(٢) في المطبوع: «عن»، وهو خطأ.

(٣) رواه الآجري في «الغرباء» (ح ٣٨) من طريق يحيى بن عبدالله بن أبي قتادة عن نافع بن مالك عنه به. =

. . . .

= ويحيى ؛ مستور.

والحديث له شواهد أخرى :

فقد رواه ابن ماجه (ح ٣٩٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٥٤ / ح ٣٢١)، والحاكم (٤٠ / ٣٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٦٣٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (ح ٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» ؛ من طرق عن عيسى بن عبدالرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر. . . وذكره.

وعيسى بن عبدالرحمن ؛ قال عنه أبو زرعة : «ليس بالقوي» . وقال أبو داود : «شبه متروك» . وقال البخاري : «حديثه مقلوب» . وتركه النسائي . ولذلك قال الحافظ : «متروك» .

ورواه الحاكم (١ / ٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٥٤ / ح ٣٢٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٦٣٥) من طرق عن زيد بن أسلم دون ذكر عيسى بن عبدالرحمن هٰذا، والصحيح إثباته.

وروي من طريق آخر من حديث شاذ بن الفياض عن أبي قحذم النضر بن معبد عن أبي قلابة عن ابن عمر قال : فرَّ عمر. . . وذكره.

رواه الحاكم (٣ / ٢٧٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ٣٦ / ح ٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ١٥)، والقضاعي في «الشهاب» (ح ١٢٩٨)، والبيهقي في «الزهد» (ح ١٩٧).

قال الحاكم : «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». =

[لماذا سُمِّي أهلُ الحقِّ غُرباءَ؟]

فهٰؤلاء هُم الغرباءُ الممدوحونَ المغبوطونَ، ولقلَّتِهم في النَّاسِ جدًّا سُمُّوا غُرباءَ، فإنَّ أكثَرَ النَّاسِ على غيرِ هٰذهِ الصفاتِ.

فأهلُ الإسلامِ في النَّاسِ غُرباءُ.

والمؤمِنونَ في أهْلِ الإسلامِ غُرباءُ.

وأهلُ العِلْمِ في المؤمِنينَ غُرباءُ.

= وقال الذهبي: «أبو قحذم؛ قال أبو حاتم: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: ليس بثقة».

وفي سنده انقطاع بين أبي قلابة وابن عمر، فإنه لم يسمع منه.

وشاذ بن الفياض؛ قال ابن حجر: «صدوق له أوهام وأفراد».

ورواه الطبراني في «الصغير» (٢ / ٤٥ ـ ٤٦) من حديث ابن عمر عن معاذ.

وفي سنده من لا يُعرف.

وأهلُ السُّنَّةِ ـ الذينَ يميِّزونَها مِن الأهواءِ والبِدَعِ ـ فيهم غُرباءُ.

والـدَّاعونَ إليها، الصَّابِرونَ على أَذى المُخالفينَ هم أشَدُّ هٰؤلاءِ غُربةً.

ولكنَّ هٰؤلاء هُم أهلُ اللهِ حقًّا، فلا غُربةَ عليهِم، وإنَّمـا غُربتُهُم بينَ الأكثَـرينَ، الـذينَ قالَ الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿وإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَن في الأرضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾[1]، فأولٰئـكَ هُم الغـربـاءُ مِن اللهِ ورسولِهِ ودينِهِ، وغربَتُهُم هي الغُربةُ الموحِشَةُ، وإنْ كانوا هُم المعروفينَ المشارُ إليهِمْ كَما قيلَ:

فلَيْسَ غَريبـاً مَن تَنـاءَتْ دِيارُهُ
ولٰـكِـنَّ مَنْ تَنْـأَيْنَ عنـهُ غَريبُ

ولمَّـا خَرَجَ موسى عليهِ السـلامُ هارِبـاً مِن قومِ فرعَوْنَ؛ انتهى إلى مدْيَنَ على الحالِ التي ذَكَرَ الله، وهو وحيدٌ، غريبٌ، خائفٌ، جائِعٌ، فقـالَ: يا ربِّ! وحيدٌ

---

(١) الأنعام: ١١٦.

مريضٌ غريبٌ.

فقيلَ لهُ: يا موسى! الـوحيدُ؛ مَن ليسَ لهُ مِثْلي أنيسٌ. والمريضُ؛ مَن ليسَ لهُ مِثْلي طبيبٌ. والغريبُ؛ مَن ليسَ بيني وبينَهُ مُعاملَةٌ.

فالغربةُ ثلاثةُ أنواعٍ:

غربةُ أهلِ اللهِ وأهْلِ سُنَّةِ رسولِهِ بينَ هٰذا الخلْقِ، وهي الغُربةُ التي مَدَحَ رسولُ اللهِ ﷺ أهْلَها، وأخبرَ عنِ الدِّينِ الذي جاءَ بِهِ أنَّه بدأَ غَريباً، وأنَّهُ سَيعودُ غريباً كما بدأَ، وأنَّ أهلَهُ يَصيرونَ غُرباءَ.

وهٰذه الغربةُ قد تكونُ في مكانٍ دونَ مكانٍ، ووقتٍ دونَ وقتٍ، وبينَ قومٍ دونَ قومٍ[1].

ولكنَّ أهلَ هٰذهِ الغربةِ هُم أهلُ اللهِ حقًّا، فإنَّهُم لم

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد تكون الغربة في بعض شرائعه، وقد يكون ذٰلك في بعض الأمكنة، ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريباً بينهم، لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد» «مجموع الفتاوى» (١٨ / ٢٩٨).

يأْووا إلى غيرِ اللهِ، ولم يَنْتَسِبوا إلى غيرِ رسولِهِ ﷺ، ولم يَدْعوا إلى غيرِ ما جاءَ بهِ.

وهم الذينَ فارَقوا الناسَ أَحْوجَ ما كانوا إليهم، فإذا انْطَلَقَ الناسُ يومَ القِيامَةِ معَ آلِهَتِهِم؛ بَقوا في مكانِهِم، فيقال لهم: «ألا تنطلِقونَ حيثُ انْطَلَقَ الناسُ؟! فيقولونَ: فارَقْنا الناسَ ونحنُ أَحْوَجُ إليهِمْ منَّا اليومَ، وإنَّا ننتَظِرُ ربَّنا الذي كُنَّا نعبُدُهُ»[1].

فهذِهِ الغربةُ لا وحْشَةَ على صاحِبِها، بل هو آنَسُ ما يكونُ إذا اسْتَوْحَشَ الناسُ، وأشدُّ ما تكونُ وَحْشَتُهُ إذا

---

(١) هٰذا موافق للحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّونَ في القمرِ ليلة البدر؟». قالوا: لا يا رسول الله! قالَ: «فإنكم ترونه كذٰلك، يجمع الله الناسَ يومَ القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئاً؛ فليَتَّبِعْهُ، فيتَّبِعُ مَن كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ويتَّبِع مَن كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتَّبِع مَن كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ...».

«البخاري» (١٣ / ٤١٩ / ح ٧٤٣٧)، ورواه مسلم (١ / ١٦٣ - ١٦٦ / ح ١٨٤).

استأنَسوا، فوليُّه الله ورسولُهُ والذينَ آمَنوا، وإنْ عاداهُ أكثرُ النَّاسِ وجَفَوْهُ.

وفي حديثِ القاسمِ عن أبي أُمامة عن النبيِّ ﷺ قالَ عنِ اللهِ تعالى:

«إنَّ أغْبَطَ أوْلِيائي عندي لَمؤمِنٌ، خفيفُ الحاذِّ[1]، ذو حظٍّ من صلاتِهِ، أحْسَنَ عبادَةَ ربِّه، وكانَ رزْقُهُ كَفافاً، وكانَ معَ ذلك غامِضاً في النَّاسِ، لا يُشارُ إليهِ بالأصابِعِ، وصَبَرَ على ذلك حتَّى لَقِيَ الله، ثمَّ حلَّتْ منيَّته، وقلَّ تُراثُهُ[2]، وقَلَّتْ بواكيهِ»[3].

---

(١) أي: خفيف الظهر من العيال.

(٢) أي: ما يخلفه لأهله.

(٣) رواه وكيع في «الزهد» (ح ١٣٣)، وأحمد في «مسنده» (٥ / ٢٥٢ و ٢٥٥)، وفي «الزهد» (ص ١١)، وابن المبارك في «الزهد» (زيادات نعيم ـ ١٩٦)، والطيالسي في «مسنده» (٢ / ٤٢ / ح ٢٠٨٢ ـ منحة المعبود)، والترمذي (ح ٢٣٤٧)، والحاكم (٤ / ١٢٣)، والحميدي في «مسنده» (٩٠٩)، والطبراني (٨ / ٢٤٢ و ٢٥٣)، والخطابي في «العزلة» (٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٢٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٢٥)، والآجري في «الغرباء» =

. . . .

= (ح ٣٥)، والبيهقي في «الزهد» (ح ١١٩)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (ح ١٣)؛ من طرق عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة مرفوعاً به.

وإسناده ضعيف؛ علي بن زيد الألهاني ضعيف.

قال الذهبي في «مختصر العلل المتناهية»: «إسناده ضعيف».

وقال ابن معين: «علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة؛ ضعاف كلها».

وقال أبو حاتم: «هي ضعاف».

وأخرجه ابن ماجه (ح ٤١١٧)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ق ٤ / أ)؛ من طريق صدقة بن عبدالله عن إبراهيم بن مرة عن أيوب بن سليمان عن أبي أمامة به.

وسنده ضعيف؛ أيوب ضعيف، وصدقة بن عبدالله متفق على ضعفه.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٢ / ٣ / ٣٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥ / ١٨٦٥) من طريق هلال بن العلاء: ثنا أبي: ثنا هلال بن عمر بن هلال عن غالب عن أبي أمامة.

وسنده ضعيف جداً.

قال النسائي: «روى هلال عن أبيه غير حديث منكر، فلا أدري منه أتى أم من أبيه».

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل. =

ومَن هٰؤلاء الغرباء؟ مَن ذكرهم أنس في حديثه عن النبي ﷺ:

«رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ، ذي طِمْرينِ[1]، لا يُؤْبَهُ لهُ، لو أقْسَمَ على اللهِ لأبَرَّهُ»[2].

= رواه وكيع في «أخبار القضاة» (٣ / ١٧).

وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبدالعزيز بن أبان أبو خالد الكوفي، وهو متروك؛ كذبه ابن معين.

فالحديث أسانيده ضعيفة جداً، لا تصلح لشيء من التحسين.

(١) أغبر: أي: عليه غبار. الطمر: الثوب البالي.

(٢) حديث أنس روي من عدة طرق، فقد رواه البزار (كشف الأستار ٢ / ٤١١ / ح ١٩٨٣)؛ دون قوله: «ذي طمرين»، وبلفظ: «رب ضعيف»، والحاكم (٣ / ٢٩١ - ٢٩٢)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٧)، والآجُري في «الغرباء» (ح ٢٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣ / ١١٦١)؛ كلهم من طرق عن محمد بن عزيز الأيلي قال: حدثني سلامة بن روح عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال: حدثني أنس بن مالك... وفي ألفاظهم اختلاف يسير.

وسلامة بن روح؛ قال ابن حجر: صدوق له أوهام.

ومحمد بن عزيز؛ فيه ضعف. =

. . . .

= ورواه الترمذي (ح ٣٨٥٤)، وعبدالله في «زوائد الزهد» (٢٥) من طريق عبدالله بن أبي زياد: حدثنا سيَّار: حدثنا جعفر عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس. . . وفيه زيادة: «منهم البراء بن مالك».

قال الترمذي: «حديث صحيح حسن من هٰذا الوجه».

وسيَّار هو ابن حاتم العنزي؛ قال أبو أحمد الحاكم: في حديثه مناكير. وقال العقيلي: أحاديثه مناكير. وضعَّفه ابن المديني. وقال الأزدي: عنده مناكير.

وعلي بن زيد؛ ضعيف، ولكن تابعه ثابت.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٥٠) من طريق ابن رستة: ثنا أبو معمر: ثنا سعيد بن محمد عن مصعب بن سليم قال: سمعت أنس. . . وفيه زيادة: «ومنهم البراء بن مالك».

ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٣ / ٢٠٣ و ٤٢١) من حديث معاوية بن عمرو: حدثنا زائدة بن قدامة عن الأعمش عن شعبة عن قتادة عن أنس.

قال سهل بن شاذويه: ذكرته لأبي علي صالح بن محمد فأنكره، وقال: زائدة ليس بابه ذا.

ورواه أحمد في «الزهد» (ص ١٣) من حديث معاوية بن عمرو: حدثنا زائدة عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرونه عن أنس.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (ح ٨٦٥) من طريق عبدالله بن موسى التيمي عن أسامة بن زيد عن حفص بن عبيدالله بن أنس عن جدِّه أنس. . . وذكره. وفيه زيادة: «ومصفح عن أبواب الناس»؛ بدل: =

وفي حديث أبي إدريس الخَـولاني عن معاذِ بنِ جبلٍ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ:

«ألا أُخْبِرُكُم عنْ مُلوكِ أهلِ الجنَّةِ؟».

قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ!

قالَ: «كلُّ ضعيفٍ أغْبَرَ، ذي طمرينِ، لا يُؤبَهُ لهُ، لو أقسمَ على اللهِ؛ لأبرَّهُ»(١).

= «لا يؤبه له».

قال الهيثمي «المجمع» (١٠ / ٢٦٧): «فيه عبدالله بن موسى التيمي، وقد وثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وهو عند أحمد في «المسند» (٣ / ١٤٥) بلفظ: «ألا أخبركم بأهـل النـار وأهـل الجنة؟ أما أهل الجنة؛ فكل ضعيف متضعف، أشعث، ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبره...».

وفيه ابن لهيعة.

فالحديث صحيح من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي الباب عن أبي هريرة، وابن مسعود، وحارثة بن وهب، ومعاذ بن جبل؛ رضي الله عنهم.

وروي مرسلاً من طرق.

(١) رواه ابن ماجه (ح ٤١١٥)، والآجري في «الغرباء» (ح ٢٩)، وابـن أبي حاتم في «العلل» (ح ١٨١٤)؛ كلهم من حديث =

وقالَ الحسنُ: المؤمِن في الدنيا كالغريب، لا يَجْزَعُ من ذُلِّها، ولا ينافِسُ في عزِّها، للنَّاسِ حالٌ، ولهُ حالٌ، الناسُ منهُ في راحةٍ، وهو مِن نفسهِ في تعبٍ»[1].

ومن صفاتِ هٰؤلاء الغرباء ـ الذين غَبَطَهُم النبيُّ ﷺ ـ:

التمسُّك بالسنَّة إذا رَغِبَ الناسُ عنها، وتركُ ما أحْدَثوهُ، وإنْ كانَ هوَ المعروفَ عندَهُم.

وتجريدُ التوحيدِ، وإنْ أنْكَرَ ذٰلك أكثرُ النَّاسِ.

وتَرْكُ الانتسابِ إلى أحدٍ غيرِ اللهِ ورسوله؛ لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة، بل هٰؤلاء

= سويد بن عبدالعزيز عن زيد بن واقد عن بسر بن عبدالله عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ... مرفوعاً.

وسويد بن عبدالعزيز؛ لين الحديث.

قال أبو حاتم: «هٰذا حديث خطأ، إنما يُروى عن أبي إدريس كلامه فقط».

والحديث صحيح بشواهده.

(١) ذكره أحمد في «الزهد» (ص ٢٦٢ و ٢٧٣)، والآجري في «الغرباء» (ص ٢٣) بألفاظ مقاربة.

الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسولِهِ بالاتِّبـاعِ لما جاءَ بهِ وحدهُ، وهٰؤلاء هُم القابِضونَ على الجمْرِ حقًّا.

وأكثرُ النَّاسِ - بل كلُّهم - لائمٌ لهُم.

فلغـربتِهم بينَ هٰذا الخلقِ يعُـدُّونَهُم أهلَ شذوذٍ وبدعةٍ ومفارقةٍ للسوادِ الأعظمِ [1].

ومعنى قولِ النبيِّ ﷺ: «هم النـزَّاعُ مِن القبائل»؛ أنَّ الله سبحـانَـهُ بعثَ رسـولَـهُ وأهـلُ الأرضِ على أديانٍ مختلفـةٍ، فهم بينَ عُبَّـادِ أوثـانٍ ونيـرانٍ، وعبَّـادِ صُوَرٍ وصُلْبـانٍ، ويهـود، وصابئة، وفلاسفة، وكانَ الإسلامُ في أولِ ظهـورِهِ غريبـاً، وكـانَ مَن أسْلَمَ منهُم واستجابَ للهِ ولـرسـولِـهِ غريبـاً في حيِّه وقبيلتِهِ، وأهلِهِ وعشيرتِهِ، فكانَ المستجيبونَ لدعوةِ الإسلامِ نُزَّاعاً مِن القبائِلِ، بل آحاداً منهُم، تَغَـرَّبـوا عن قبـائِلِهِم وعشـائـرِهِم، ودَخَلوا في الإسـلامِ، فكـانوا هُم الغرباءَ حقًّا، حتَّى ظهرَ الإسلامُ،

---

(١) أحـاديث اتِّبـاع السـواد الأعـظم لا يصـح منها شيء، وأحاديث الغرباء معارضة لها، وذٰلك بأنهم «يقلون حين يكثر الناس».

وانتشــرتْ دعــوتُـهُ، ودخَلَ النَّاسُ فيهِ أفواجاً، فزالَتْ تلكَ الغربةُ عنهُم.

ثمَّ أخَـذَ في الاغتـرابِ والتَّـرَحُّلِ، حتَّى عادَ غريباً كما بدأَ.

بل الإسلامُ الحقُّ ـ الذي كانَ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُهُ ـ هو اليومَ أشدُّ غربةً منهُ في أوَّلِ ظهورِهِ، وإنْ كانَتْ أعلامُهُ ورسومُهُ الظاهرةُ مشهورةً معروفةً، فالإسلامُ الحقيقيُّ غريبٌ جدًّا، وأهلُهُ غُرباءُ أشدُّ الغربةِ بينَ الناسِ.

وكيفَ لا تكـونُ فرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جدًّا غريبةٌ بين اثنتينِ وسبعينَ فرقـةً[1] ذات أتبـاع ورئاسات، ومناصبَ وولايات، ولا يقــومُ لهـا سوقٌ إلا بمخـالفـةِ ما جاءَ بهِ الرسولُ؟ فإنَّ نفس ما جاءَ بهِ يضادُّ أهواءَهُم، ولَذَّاتِهم، ومـا هُم عليهِ مِن الشُّبُهـاتِ والبـدعِ التي هي مُنْتَهى فضـيلتِهِـم وعـمـلِهِـم، والـشَّهَـواتِ التي هي غاياتُ

(١) هو من حديث افتراق الأمة. انظر «السلسلة الصحيحة» (ح ٢٠٤ و ٢٠٥).

مقاصِدِهِم وإراداتِهِم؟

فكيفَ لا يكونُ المؤمِنُ السائِرُ إلى اللهِ على طريقِ المتابَعَةِ غريباً بينَ هٰؤلاءِ الذينَ قدِ اتَّبعوا أهواءَهُم، وأطاعوا شُحَّهُم، وأُعْجِبَ كُلٌّ منهُم برأيِهِ؛ كما قالَ النبيُّ ﷺ:

«مُروا بالمَعْروفِ، وانْهَوْا عنِ المُنْكَرِ، حتَّى إذا رأيْتُم شُحًّا مُطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودُنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، ورأيتَ أمراً لا يدَ لكَ بهِ، فعليكَ بخاصَّةِ نفسِكَ، وإيَّاكَ وعوامَّهُم، فإنَّ وراءَكُم أياماً صبرُ الصَّابِرِ فيهِنَّ كالقابِضِ على الجمرِ»[1].

ولهٰذا جُعِلَ للمسلمِ الصادقِ في هٰذا الوقتِ ـ إذا تمسَّكَ بدينِهِ ـ أجر خمسينَ من الصحابةِ.

ففي «سنن» أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخُشَني قالَ: سألتُ الرسولَ ﷺ عن هٰذهِ الآيةِ: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا عليكُمْ أنْفُسَكُم لا يَضُرُّكُمْ مَن ضلَّ

(١) سيأتي تامًّا، وهو الحديث التالي.

إذا اهْتَدَيْتُم﴾[1]، فقالَ:

«بل ائْتَمِروا بالمعروفِ، وتناهَوْا عن المنكَرِ، حتى إذا رأيتَ شُحًّا مطاعاً، وهوىً مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيهِ؛ فعليكَ بخاصَّةِ نفسكَ، ودَعْ عنكَ العوامَّ، فإنَّ من ورائِكُم أيَّامَ الصبرِ، الصبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعامِلِ فيهِنَّ أجْرِ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثلَ عملِهِ».

قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أجْرَ خمسينَ منهم؟

قالَ: «أجْرَ خمسينَ منكُم»[2].

---

(١) المائدة: ١٠٥.

(٢) أبو داود (ح ٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٨٦٢ و ١٢٨٦٣)، وابن وضاح (٧٦ - ٧٧)، وابن حبان (موارد - ح ١٨٥٠)، والطحاوي في «المشكل» (٢ / ٦٥)، والحاكم (٤ / ٣٢٢)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الآداب» (ح ٢٠٢)، وفي «الاعتقاد» (ص ١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٢ / ٣١٤ - ٣١٥)، وفي «شرح السنة» (١٤ / ٣٤٧ - ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢ / ٢٢٠ / ح ٥٨٧)، وابن المنذر=

. . . .

= وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه «الدر المنثور» (٣ / ٢١٥)؛ كلهم من طريق عتبة بن أبي حكيم: حدثني عمرو بن جارية اللخمي: حدثنا أبو أميَّة الشعباني قال: أتيتُ أبا ثعلبة الخشني، فقلتُ: يا أبا ثعلبة! كيف تصنع في هٰذه الآية؟ قال: أيَّةُ آية؟ قلتُ: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿عليكُمْ أنفسَكُم لا يَضُرُّكُم مَن ضلَّ إذا اهْتَدَيْتُم﴾. فقال: أما واللهِ لقد سألتُ عنها خبيراً. سألتُ عنها... وذكره.

وسنده ضعيف.

فعمرو بن جارية، وأبو أميَّة الشعباني؛ لم يوثقهما إلا ابن حبان.

وعتبة بن حكيم؛ قال عنه ابن حجر: «صدوق يخطىء كثيراً».

وأخرجه ابن مردويه عن معاذ بن جبل. «الدر المنثور» (٣ / ٢١٧).

ولبعض ألفاظه شواهد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للعرب من شر قد اقترب؛ فتنٌ كقطعِ الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، المتمسك منهم يومئذ على دينه كالقابض على الجمر، أو قال: على الشوك».

رواه أحمد (٢ / ٣٩٠ و ٣٩١)، والديلمي في «الفردوس» (ح ٧١٤٣)، وفي سنده ابن لهيعة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم على دينِهِ كالقابض على الجمر». =

. . . .

= رواه الترمذي (ح ٢٢٦٠)، وابن عدي (٥ / ١٧١١)، والديلمي في «الفردوس» (ح ٨٦٩٣).

قال الترمذي: هٰذا حديث غريب من هٰذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري، وقد روى عنه غير واحد من أهل العلم.

وهو ضعيف كما قال ابن حجر.

وعند ابن عدي لفظ آخر من طريقه: «يأتي على الناس زمان؛ الصابر منهم على دينه له أجر خمسين منكم». قلنا: يا رسول الله! خمسين منا؟ قال: «خمسين منكم».

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «يأتي على الناس زمان؛ المتمسك فيه بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر».

انظر «السلسلة الصحيحة» (ح ٩٥٧).

وفي رواية عنه: «إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل فيها أجر خمسين». قالوا: يا رسول الله! أجر خمسين منهم أو خمسين منا؟ قال: «خمسين منكم».

رواه البزار (كشف الأستار ـ ٤ / ١٣١).

ورواه الطبراني بلفظ: «فيه أجر خمسين شهيداً» (١٠ / ٢٢٥ / ح ١٠٣٩٤).

قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير سهل بن عامر البجلي، وثقه ابن حبان».

وهو عند الطبراني «سهل بن عثمان»، وعند البزار «سهيل بن عامر». =

وهٰذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هُو لغربتِهِ بينَ النَّاسِ، والتمسُّكِ بالسنَّةِ بينَ ظُلماتِ أهوائِهم وآرائِهم.

فإذا أرادَ المؤمِنُ الذي قدْ رَزَقَهُ الله بصيرةً في دينِهِ، وفقهاً في سنَّةِ رسولِهِ، وفهماً في كتابِهِ، وأراهُ ما الناسُ فيهِ مِن الأهواءِ، والبدعِ، والضَّلالاتِ، وتنكُّبِهِم عن الصِّراطِ المستقيمِ الذي كانَ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه.

فإذا أرادَ أنْ يَسْلُكَ هٰذا الصِّـراطَ؛ فليُوَطِّنْ نفسَهُ على قَدْحِ الجُهَّـالِ وأهلِ البدَعِ فيهِ، وطعنِهِم عليهِ، وإزْرائِهِم بهِ، وتنفيرِ النَّاسِ عنهُ، وتحذيرِهِم منهُ؛ كما كانَ سلَفُهُم مِن الكفَّارِ يفعلونَ معَ متبوعِهِ وإمامِهِ ﷺ.

= وهـو عند الطبراني في «الكبير» (١٧ / ١١٧ / ح ٢٨٩)، و«الأوسط» (مجمع البحرين - / ٤٢٢)، وابن نصر في «السنة» (ص ٩) من طريق إبراهيم بن أبي عبلة عن عتبة بن غزوان مرفوعاً.

وفيه انقطاع بين إبراهيم وعتبة.

أما قوله: «فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام»؛ فانظر: «أبو داود» (ح ٤٣٤٢ و٤٣٤٣)، وابن حبان (موارد - ١٨٤٩)، وأحمد (ح ٦٥٠٨ و٧٠٦٣ و٧٠٤٩)، والحاكم (٤ / ٤٣٥ و٥٢٥)، وانظر كلام أبي الأشبال على الحديث (٦٥٠٨).

فأمَّا إنْ دَعاهُم إلى ذٰلك، وقَدَحَ فيما هُم عليهِ؛ فهنالِكَ تقومُ قيامَتُهم، ويبغونَ لهُ الغوائلَ، وينصبونَ لهُ الحبائِلَ، ويجلبونَ عليهِ بخيلِ كبيرهِم ورَجِلِهِ.

فهو غريبٌ في دينِه لفسادِ أدْيانِهم.

غريبٌ في تمسُّكِه بالسنَّةِ لتمسُّكِهِمْ بالبدعِ.

غريبٌ في اعتقادِهِ؛ لفسادِ عقائِدِهِم.

غريبٌ في صلاتِهِ؛ لسوءِ صلاتِهم.

غريبٌ في طريقِهِ؛ لضلالِ وفسادِ طُرُقِهم.

غريبٌ في نسبتِهِ؛ لمخالفةِ نسَبِهم.

غريبٌ في معاشرتِهِ لهُم؛ لأنَّه يعاشِرُهُم على ما لا تهوى أنفسُهُم.

وبالجملةِ؛ فهو غريبٌ في أمورِ دنياهُ وآخرتِه، لا يجد مِن العامَّةِ مساعداً ولا مُعيناً، فهو عالمٌ بينَ جُهَّالٍ، صاحبُ سنَّةٍ بينَ أهلِ بِدَعٍ، داعٍ إلى اللهِ ورسولِهِ بينَ دعاةٍ إلى الأهواءِ والبدعِ، آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عنِ المنكرِ بينَ قومٍ المعروفُ لديهِم منكرٌ، والمنكرُ معروفٌ.

فصلٌ: النَّوعُ الثَّاني مِن الغربةِ:

غربـةٌ مذمـومـةٌ، وهي غربةُ أهلِ الباطلِ وأهلِ الفجـورِ بينَ أهـلِ الحقِّ، فهي غربـةٌ بينَ حزْبِ اللهِ المفلحينَ، وإنْ كَثُـر أهلُهـا؛ فهم غُربـاءُ على كثـرةِ أصحابِهم وأشياعِهِم، أهلُ وحشةٍ على كثرةِ مؤنسِهِم، يُعرَفونَ في أهلِ الأرضِ، ويَخْفَوْنَ على أهلِ السماءِ[1].

فصلٌ: النَّوعُ الثالثُ غربةٌ مشتَرَكَةٌ لا تُحمدُ ولا تُذَمُّ:

وهي الغربةُ عنِ الوطنِ، فإنَّ النَّاسَ كلُّهم في هٰذه الدارِ غرباءُ، فإنَّها ليستْ لهُم بدارِ مقامٍ، ولا هي الدارُ التي خُلِقوا لها.

وقـد قال النبيُّ ﷺ لعبـدِاللهِ بنِ عمـر رضي الله عنهما: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»[2].

---

(١) أي: يخفون عنهم بالعمل الصالح.

(٢) رواه البخاري (١١ / ٢٣٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (ح ١٨٥)، وابن المبارك في «الزهد» (ح ١٣)، والترمذي (٦ =

وهٰكذا هو في نفس الأمرِ؛ لأنه أُمِرَ أنْ يطالِعَ ذٰلك بقلبِهِ، ويعرفَهُ حقَّ المعرفةِ، ولي من أبيات في هٰذا المعنى:

وحَـيَّ على جَنَّـاتِ عدْنٍ فإنَّـهـا
منـازِلُـكَ الأولـى وفيهـا المُخَيَّمُ

ولٰكِنَّنـا سَبْيُ العَـدُوِّ فهَـلْ تَرى
نَعـودُ إلـى أوْطـانِـنـا ونُسَـلِّمُ؟

وأيُّ اغْـتِـرابٍ فوقَ غُرْبَـتِـنـا التي
لهـا أضْحَتِ الأعـداءُ فينـا تَحَكَّمُ؟

وقَـدْ زَعَمـوا أنَّ الغـريبَ إذا نَأى
وشَـطَّتْ بِهِ أوطـانُـهُ ليْسَ يَنْـعَـمُ

فمِنْ أجْـلِ ذا لا يَنْعَمُ العبدُ ساعةً
مِنَ الـعُمْـرِ إلا بعـدَ ما يَتَـألَّمُ[1]

= / ٦٢٥)، وابـن ماجـه (٢ / ١٣٧٨)، وأحـمـد (٢ / ٢٤ ، ٤١)، والخولاني في «تاريخ داريا» (ص ٩٦ ـ ٩٧).

(١) انظر القصيدة تامَّة في «طريق الهجرتين»، في: (فصل في تحقيق نعت الفقير)، وأصلها في مقدمة كتابه «حادي الأرواح».

وكيفَ لا يكـونُ العبدُ في هٰذه الدارُ غريباً، وهو على جنـاحِ سفـرٍ، لا يحـل عن راحلتِـه إلا بينَ أهلِ القبورِ؟ فهو مسافرٌ في صورةِ قاعدٍ، وقد قيلَ:

ومــا هٰذهِ الأيَّامُ إلا مَراحِــلٌ
يَحُثُّ بهـا داعٍ إلى المـوتِ قاصِدُ
وأعْــجَـبُ شيءٍ لو تأمَّـلْتَ أنَّـهــا
منــازِلُ تُطْوَى والمُســافِـرُ قاعِــدُ

□□□

فصلٌ :

قالَ صاحِبُ «المنازل»[1] :

«الاغترابُ أمرٌ يُشارُ بِهِ إلى الانفِرادِ عنِ الأكْفاءِ» .

يريدُ أنَّ كُلَّ مَن انفـرَدَ بوصفٍ شريفٍ دونَ أبنـاءِ جنسهِ ؛ فإنَّهُ غريبٌ بينَهُم ؛ لعدَمِ مشارِكِهِ ، أو لقلَّتِه .

قالَ : «وهو على ثلاثِ درجاتٍ :

الـدرجـةُ الأولى : الغـربـةُ عنِ الأوطـانِ ، وهٰـذا الغريبُ موتُه شهادةٌ ، ويُقاسُ لهُ في قبرِهِ مِن مدفنهِ إلى وطنِهِ ، ويُجْمَعُ يومَ القيامَةِ إلى عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السلامُ» .

لمـا كانت الغـربـةُ هي انفـراد ، والانفـرادُ إمَّـا بالجسمِ ، وإمَّـا بالقصْـدِ والحـالِ ، وإمـا بهمـا ؛ كانَ الغريبُ غريبَ جسمٍ ، أو غريبَ قلبٍ ، وإرادةٍ ، وحالٍ ، أو غريباً بالاعتبارينِ .

قوله : «وهٰذا الغريبُ موتُه شهادةٌ» .

---

(١) أي : الهروي .

يشيرُ بهِ إلى الحديث الذي يُروى عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالَ:

«موتُ الغريبِ شهادةٌ»(١).

---

(١) رواه العقيلي (٢ / ٢٨٨)، والآجري في «الغرباء» (ح ٥١)، والقضاعي في «الشهاب» (ح ٣٤١)، وابن الجوزي في «العلل» (ح ١٤٨٧) من طريق أبي رجاء الخراساني عبدالله بن الفضل عن هشام بن حسان عنه به.

وأبو رجاء هٰذا منكر الحديث؛ قاله العقيلي.

وقال أحمد: هو حديث منكر. «التلخيص الحبير» (٢ / ١٤٢).

وللحديث شواهد ضعيفة عدَّة.

فمن حديث ابن عباس:

رواه أبو يعلى (٤ / ٢٦٩)، وابن ماجه (ح ١٦١٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧ / ٢٥٨٤ و١ / ٢٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤ / ٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١١ / ٢٤٦ / ح ١١٦٢٨)، وابن فيل في «جزئه» (اللآلىء المصنوعة ـ ٢ / ١٣٢)، والآجري في «الغرباء» (ح ٥٠)، والدولابي في «الكنى» (٢ / ١٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٢٠١)، والبخاري في «التاريخ الصغير» (٢ / ١٥٢)؛ كلهم من طريق هذيل بن الحكم الأزدي؛ =

. . . .

= قال: حدثني عبدالعزيز بن أبي روّاد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.

وسنده ضعيف جداً.

الهذيل بن الحكم؛ لين الحديث، وله مناكير.

وسرقه منه إبراهيم بن بكر أبو إسحاق الكوفي، فقد رواه ابن عدي في «كامله» (١ / ٢٥٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح ٨٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ / ٢٢١)، وفي «العلل المتناهية» (١٤٨٦) من طريقه عن عبدالعزيز به.

وإبراهيم يسرق الحديث.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٥ / ١١٩)، والدارقطني في «الأفراد» (اللآلىء - ٢ / ١٣٢) من طريق إبراهيم بن عمر بن ذر عن عكرمة عن ابن عباس.

ورواه العقيلي (٤ / ٣٦٥-٣٦٦) من طريق هذيل عن الحكم بن أبان عن وهب عن طاووس اليماني يرفعه مرسلاً.

قال العقيلي: وهو أولى.

وهذيل فيه ما فيه.

ورواه الطبراني (١١ / ٥٧-٥٨ / ح ١١٠٣٤) من طريق آخر عن ابن عباس.

وفيها عمرو بن الحصين العقيلي، وهو كذاب. ومحمد بن عبدالله بن علاثة؛ ضعيف.

ومن حديث عنترة أبي هارون:

رواه الطبراني في «الكبير» (١٨ / ٨٧ / ح ١٦١) من طريق =

ولكنَّ هٰذا الحديث لا يثبتْ، وقد رُوي مِن طرق لا يصحُّ منها شيءٌ؛ قال الإمام أحمد: هٰذا حديث منكر.

وأما قوله: «ويُقاسُ له في قبره من مدفنه إلى وطنه».

فيشير بهِ إلى ما رواه عبدالله بنُ وهبٍ: حدثني

= عبدالملك بن هارون عن أبيه عن جدِّه مرفوعاً.

وعبدالملك؛ متهم بالوضع. «الميزان» (٢ / ٦٦٦ - ٦٦٧).

ومن حديث أنس:

رواه أبو طاهر المخلص، وابن عساكر في «أماليه» (اللآلىء - ٢ / ١٣٣).

وسنده ضعيف؛ فيه رجل مبهم.

ونعيم بن حماد؛ يخطىء كثيراً؛ كما قال ابن حجر في «التقريب».

وخلاصة القول: أنه لم يثبت في شهادة الغريب شيء، وهٰذه أسانيد ضعيفة جداً، لا يرتقي منها شيء للاحتجاج.

قال الإمام المنذري: «وقد جاء في أنَّ موت الغريب شهادة جملة من الأحاديث لا يبلغ شيء منها درجة الحسن فيما أعلم» «الترغيب» (٤ / ٨٧).

حيي بن عبدِاللهِ عن أبي عبدِالرحمٰنِ الجُبُلِّي(١) عن عبدِاللهِ بنِ عمرو قالَ:

تُوُفِّيَ رجلٌ بالمدينةِ ـ ممَّن ولد بالمدينةِ ـ فصلَّى عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ، وقالَ:

«ليتَهُ ماتَ في غيرِ مولِدِهِ».

فقالَ رجُلٌ: ولم يا رسولَ اللهِ؟

فقالَ: «إنَّ الرَّجُلَ إذا ماتَ؛ قيسَ لهُ مِن مولِدِهِ إلى منْقَطَعِ أثرِهِ في الجنَّةِ»(٢).

رواه ابن لهيعة عن حيي بهٰذا الإسناد، وقالَ: وقفَ رسولُ اللهِ ﷺ على قبرِ رجلٍ بالمدينةِ، فقالَ:

«يا لهُ، لو ماتَ غريباً».

---

(١) في المطبوع: البَجَلي.

(٢) من طريقه رواه النسائي (٤ / ٧ ـ ٨)، وابن ماجه (ح ١٦١٤)، وابن حبان (ح ٧٢٩ ـ موارد)، والآجري في «الغرباء» (ح ٤٧ و٤٨).

وسنده حسن.

يحيى بن عبدالله المصري؛ قال عنه الحافظ: صدوق يهم.

فقيلَ: وما للغريبِ يموتُ بغيرِ أرضِهِ؟

فقالَ: «ما مِن غريبٍ يموتُ بغيرِ أرضِهِ؛ إلا قيسَ لهُ مِن تربَتِهِ إلى مولِدِهِ في الجنَّةِ»[1].

قوله: «ويُجمعُ يومَ القيامةِ إلى عيسى ابنِ مريمَ».

يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدَّثنا القاسمُ بنُ جميل: حدَّثنا محمدُ بنُ مسلم: حدثنا عثمانُ بنُ عبدِاللهِ بنِ إدريسَ عن سليمان بن هرمز عن عبدِاللهِ بنِ عمرو قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«أحبُّ شيءٍ إلى اللهِ الغرباءُ».

قيلَ: وما الغرباءُ يا رسولَ اللهِ؟

قالَ: «الفرَّارونَ بدينِهِم، يجتَمِعونَ إلى عيسى بنِ مريمَ يومَ القيامَةِ»[2].

---

(١) رواه أحمد (ح ٦٦٥٦)، والآجري في «الغرباء» (ح ٤٩)، وفي سنده ابن لهيعة، وقد توبع؛ كما في الحديث السابق، فهو كسابقه.

(٢) تقدم تخريجه (انظر المقدمة).

فصلٌ:

قالَ: «الـدرجةُ الثانيةُ: غربةُ الحالِ. وهٰذا مِن الغرباءِ الذينَ طُوبى لهُم، وهو رجلٌ صالحٌ في زمانٍ فاسدٍ بينَ قومٍ فاسدينَ، أو عالمٌ بينَ قومٍ جاهلينَ، أو صِدِّيقٌ بينَ قومٍ منافقينَ».

يريد بالحـالِ ها هُنـا الوصفَ الذي قامَ بهِ؛ مِن الـدينِ، والتمسُّكِ بالسُّنَّةِ، ولا يريدُ بهِ الحـالَ الاصطلاحيَّ عندَ القومِ [1].

---

(١) أي: الصوفية. وللصوفية مصطلحات وألفاظ خاصة بهم، ولها عندهم معان غير ما عُرف في وضعها الأصلي، مع أنَّ للصوفية كذٰلك يد في تغيير وتحريف معانيَ كثيرة لألفاظ عديدة، صارت لدى عامة النـاس تحمل مدلولات تغاير الوضع المتعارف عليه عند أهل اللغة، وقد حاولت استقصاء هٰذه الألفاظ في رسالة مستقلة يسر الله إتمامها، وأوضح هٰذه الألفاظ التي تبدلت معانيها مثل بُهلول، وشاطر، وغيرها.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنَّ أول طرق المعصية وولوجها في النفس البشرية هو في تغيير الأسماء والعلامات ـ يسمونها بغير اسمها ـ وانظر إلى إبليس كيف صنع بآدم عليه السلام عندما زيَّن له المعصية، =

والمرادُ بهِ العالـمُ بالحقِّ، العاملُ بهِ، الدَّاعي إليهِ.

وجعلَ الشيخُ الغرباءَ في هٰذه الدَّرَجَةِ ثلاثةَ أنواعٍ:

صاحبُ صلاحٍ ودينٍ بينَ قومٍ فاسدينَ.

وصاحبُ علمٍ ومعرفةٍ بينَ قومٍ جُهَّالٍ.

وصاحبُ صدقٍ وإخلاصٍ بينَ أهلِ كذبٍ ونفاقٍ.

فإنَّ صفاتِ هٰؤلاء وأحوالَهم تنافي صفاتِ مَن هُم بينَ أظْهُـرِهِم، فمَثَـلُ هٰؤلاءِ بينَ أولٰئـكَ كَمَثَـلِ الطيرِ الغريبِ بينَ الطُّيورِ، والكلبِ الغريبِ بينَ الكِلابِ.

والصِّدِّيقُ هو الذي صَدَقَ في قولِهِ وفعلِهِ، وصدَّقَ الحقَّ بقولِهِ وعملِهِ، فقد انْجَذَبَتْ قواهُ كلُّها للانقيادِ للهِ ولـرسـولِـهِ؛ عكسَ المنافقِ الذي ظاهرُهُ خلافُ باطنِهِ، وقولُهُ خِلافُ عملِهِ.

= فسمى الشجرة بغير اسمها، فهي شجرة المعصية، فبدلها، وسمَّاها (شجرة الخلد).

فصلٌ:

قالَ: «الدرجةُ الثالثةُ[1]: غُربةُ الهمةِ، وهي غربةُ طلَبِ الحقِّ، وهيَ غُربةُ العارفِ؛ لأنَّ العارفَ في شاهِدِهِ غريبٌ، ومصحوبَهُ في شاهِدِهِ غريبٌ، وموجودَهُ لا يحملهُ علمٌ، أو يظهرُهُ وَجْدٌ، أو يقومُ بهِ رسْمٌ، أو تطيقهُ إشارةٌ، أو يشملهُ اسمُ غريبٍ، فغربةُ العارفِ غُربةُ الغُربةِ؛ لأنَّه غريبُ الدنيا والآخرةِ».

إنما كانت هٰذه الدرجة أعلى مما قبلها؛ لأن الغربةَ الأولى غربةٌ بالأبدانِ.

---

(١) هٰذه هي المرتبة الثالثة التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثالثة في الأغلب تخالف (أي: الشرع والحق)، لا سيما في التوحيد والفناء». انظر المقدمة.

وقد ترددت كثيراً قبل أن أثبت هٰذه في المنقول من الرسالة من «المدارج»؛ إلا أني وجدت الأولى إثباتها، إذ بذٰلك تحصل الفائدة، وهي أن مراتب الكُمَّل من الصوفية لا فائدة منها، فألفاظها مجملة، وتأويلها لتوافق الحق فيه شيء من العنت، فمن أراد الهدى؛ أعرض عنها، واجتَنَبها، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها.

والثانية: غربةٌ بالأفعالِ والأحوالِ.

وهٰـذه الثـالثةُ: غربةٌ بالهمم، فإنَّ همَّةَ العارفِ حائمةٌ حولَ معروفِهِ، فهو غريبٌ في أبناءِ الآخرةِ؛ فضلاً عن أبناءِ الدنيا، كما أنَّ طالبَ الآخرةِ غريبٌ في أبناءِ الدُّنيا.

قوله: «لأنَّ العارفِ في شاهِدِهِ غريبٌ».

شاهد العارفِ: هو الذي يشْهَدُ عندَهُ ولهُ بصحَّةِ ما وجَدَ، وأنَّهُ كما وجَدَ، وبثبوتِ ما عَرَفَ، وأنَّهُ كما عرفَ.

وهٰذا الشاهدُ أمرٌ يجدُهُ في قلبهِ، وهو قُربُهُ مِن اللهِ، وأُنْسُهُ بهِ، وشدَّةُ شوقِهِ إلى لقائِهِ، وفرحِهِ بهِ، فهٰذا شاهِدُهُ في سرِّهِ وقلبِهِ.

وله شاهدٌ في حالِهِ وعملِهِ يُصَدِّقُ الشاهِدَ الذي في قلبِهِ.

ولـه شاهـدٌ في قلوبِ الصَّـادِقينَ يُصَـدِّقُ هٰذينَ الشاهدينِ، فإنَّ قلوبَ الصادِقينَ لا تَشْهَدُ بالزُّورِ ألبتَّةَ.

فإذا خَفِي عليكَ شأنُـكَ وحـالُـكَ؛ فاسْأَلْ عَنْكَ

قلوبَ الصادِقينَ، فإنَّها تُخْبِرُكَ عن حالكَ[1].

قوله: «ومصحوبه في شاهِدِهِ غريب».

مصحوبه في شاهده هو الذي يصحبُهُ فيه مِن العلمِ والعَمَلِ والحالِ.

وهو غريبٌ بالنسبةِ إلى غيرِهِ ممَّنْ لم يَذُقْ طعمَ هٰذا الشأْنِ، بل هو في وادٍ وأهْلُهُ في وادٍ.

وقوله: «وموجوده لا يحمله علم... إلى آخرِهِ».

يريد بموجوده ما يجد في شهودِهِ وجداناً ذاتياً حقيقيًّا في هٰذه المراتب المذكورة؛ لأنَّ الشُّهودَ يشملها كلها حالةَ المشاهدةِ.

فأمَّا ما يحمله العلم؛ فهو أحكام العلم التي متى

---

(١) رحم الله ابن القيم: وهل يحصِّل ما في الصدور إلا الله؟ وهل الصدِّيقيَّة إلا مرتبة تنزل عن مرتبة النبوة، بل لا تحصل الصدِّيقيَّة إلا بمتابعتها؟!

وهٰذا أفضل الخلق وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ينهى أصحابه أن يخبروه بما شجر بينهم؛ ليخرج إليهم وهو سليم الصدر، فلا يعلم الغيب إلا الله.

انسلخَ منها؛ انْسَلَخَ مِن الإيمانِ.

ومـوجـوده في هٰذه المشاهدة في هٰذا الحال هو إصابته وجه الصواب الذي أرادَهُ الله ورسولُهُ بشرعِهِ وأمرِه، وهٰذه الإصابةُ غريبةٌ جداً عندَ أهلِ العلمِ.

بل هي متروكةٌ عندَ كثيرٍ منهم.

فليسَ الحلالُ إلا ما أَحَلَّهُ مَن قَلَّدوهُ.

والحرامُ ما حَرَّمَهُ.

والدينُ ما أفْتى بهِ؛ يقدَّم على النصوص، وتُتركُ له أقوالُ الرسولِ والصحابةِ وسائر أهل العلم.

قوله: «أو يظهِرُهْ وَجْدٌ».

الـوَجْـدُ يظهـر أموراً يُنْكِرها مَن لـم يكُنْ له ذٰلك الوجد، ويعرفها مَن كانَ لهُ.

وهٰذا الوجدُ إنْ شَهِدَ لهُ العلمُ بالقبولِ، وزكَّاهُ؛ فهو وَجْدٌ صحيحٌ، وإلا؛ فهو وَجْدٌ فاسدٌ، وفيه انحرافٌ.

والمقصـودُ أنَّ ما يظهـرُهُ وجدُ هٰذا العارفِ باللهِ،

وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأحكامِهِ؛ غريبٌ على غيرِهِ، بحسبِ همَّتِهِ ومعرفَتِهِ وطلَبِهِ.

قوله: «أو يقومُ بِهِ رسمٌ».

الرَّسْمُ هو الصورة الخَلْقيةُ وصفاتُها وأفعالها عندهم.

والذي يقومُ بِهِ هٰذا الرَّسمُ هو الذي يقيمُهُ مِن تعلق اسم القيُّوم به.

فإنَّ القيُّومَ هو القائِمُ بنفسهِ، الذي قِيامُ كُلِّ شيءٍ بِهِ، أي: هو المقيمُ لغيرِهِ، فلا قيامَ لغيرِهِ بدونِ إقامتِهِ لهُ، وقيامُهُ هو بنفسهِ لا بغيرِهِ.

ويحتملُ أنْ يُريدَ بِهِ معنى آخر، وهو ما يَقْوى رسمُهُ على القيامِ بِهِ، فإنَّ وراءَ ذٰلك ما لا يقوى رسمُ العبدِ على إظهارِهِ، ولا القيامِ بِهِ، وهٰذا أظهَرُ المعْنَيَيْنِ مِن كلامِهِ، وسياقُهُ إنَّما يدلُّ عليهِ، ولهٰذا قالَ بعدَ ذٰلك: «أو تطيقُهُ إشارَةٌ»، أي: لا تقدِرُ على إفهامِهِ وإظهارِهِ إشارةٌ، فتنهضُ الإشارةُ بكَشْفِهِ.

ثم قالَ: «أو يشمَلُهُ رسمٌ».

يعني: أو تناله عبارةٌ.

فذكر الشيخُ خمسَ مراتب:

الأولى: مرتبةُ حملِ العلمِ لهُ.

الثانيةُ: مرتبةُ إظهارِ الوَجْدِ لهُ.

الثالثةُ: مرتَبَةُ قيامِ الرسمِ بهِ.

الرابعة: مرتبة إطاقة الإشارة له.

الخامسة: مرتبة شمول العبارة له.

ومقصوده أنَّ موجودَ العارفِ أخْفى وأدقُّ مِن موجودِ غيرهِ، فهو غريبٌ بالنسبةِ إلى موجودِ سواهُ.

وأخبرَ أنَّ موجوده في هٰذه المراتِبِ غريبٌ، فكيفَ بموجودِهِ الذي لا يحملُهُ علمٌ، ولا يُظْهِرُهُ وجدٌ، ولا يقومُ بهِ رسمٌ، ولا تُطيقُهُ إشارةٌ، ولا تشملُهُ عبارةٌ؟ فهٰذا أشدُّ غربةً.

قوله: «فغربةُ العارفِ غربةُ الغربةِ».

والغربةُ أنْ يكونَ الإنسانُ بينَ أبناءِ جنسهِ غريباً، مع أنَّ له نسباً فيهِم.

وأما غربةُ المعرفةِ؛ فلا يبقى معها نسبة بينه وبين أبناءِ جنسهِ إلا بوجه بعيدٍ؛ لأنَّهُ في شأْنٍ والنَّاسُ في شأْنٍ آخر، فغربتُه غربةُ الغربةِ.

وأيضاً؛ فالصالحونَ غرباء في النَّاسِ ، والزَّاهِدونَ غرباءُ في الصَّالحينَ، والعارِفونَ غُرباءُ في الزَّاهِدينَ.

قوله: «لأنَّه غريبُ الدنيا، وغريبُ الآخرةِ».

يعني أن أبناءَ الدُّنيا لا يعرفونه؛ لأنه ليس منهم، وأهل الآخرةِ ـ العباد الزهاد ـ لا يعرفونَه؛ لأنَّ شأنَهُ وراءَ شأنِهم، همَّتُهم متعلقةٌ بالعبادةِ، وهمتُه متعلقةٌ بالمعبودِ، مع قيامِهِ بالعبادةِ[1]، فهو يرى النَّاسَ، والنَّاسُ لا يرونَهُ؛ كما قيل:

---

(١) مع أن الصوفية لا يرون هٰذا الشرط، ومن هنا صرَّح قوم منهم بسقوط التكليف عنهم؛ لدعواهم أن همتهم متعلقة بالمعبود، وغيرهم متعلق بالرسم والعبادة.

تَسَتَّــرْتُ مِن دَهْــري بظلٍّ جَنـاحِـهِ
فعَـيْنِـي تَرى دَهْــري ولـيْسَ يَراني
فلَوْ تَسْأَل الأيَّامَ ما آسْمِي لَما دَرَتْ
وأيْنَ مَكـــانـــي ما عَرَفْـنَ مَكـــانـي

□□□

الفهرس

التنضيد والمونتاج: مكتبة الحسن للنشر والتوزيع ـ عمان ـ هاتف: ٦٤٨٩٧٥ ـ ص.ب ١٨٢٧٤٢

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٩/٨/٤٤٥

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٩/٨/٤٩٦